

السلوك الإنحرافي وعلاقته بالبيئة الحضرية العمرانية

Deviant behavior and its relationship to the urban environment

عيدة مقلاتي

مليكَة عرعور عمري*

مخبر التطبيقات النفسية في الوسط العقابي

جامعة باتنة 1

جامعة باتنة 1

Aida.meguellati@univ-batna.dz

Malika.araour@univ-batna.dz

تاريخ القبول : 2024/5/03

تاريخ الاستلام: 2024/02/14

ملخص:

المدينة تركيبة معقدة من المعطيات المادية، المعنوية و البشرية في حيز جغرافي محدود، مما يجعلها مساحة لنشوء شبكة ضخمة من العلاقات الاجتماعية المرتبطة مع طبيعة البيئة العمرانية و البناء الاجتماعي الثقافي للمدينة، وعليه فإن تلك العلاقات تحدد هوية المدينة وملامحها الحضرية بكل أشكالها وعناصرها، بما في ذلك ذهنية الأفراد وتوجهاتهم وسلوكياتهم، التي تكون سوية كما قد تكون منحرفة أو إجرامية وبالتالي فإنه إذا كنت البيئة محفزة على انحراف الأفراد وإن كان العكس فالعكس صحيح، هذا يعني أن البيئة العمرانية للمدينة المشوهة عمرانياً بالبيوت القصديرية، والأحياء الهشة، تقود إلى وجود حياة اجتماعية تتسم بالفوضى الاجتماعية التي بدورها تتميز بعدم الانسجام بين الأفراد والجماعات الاجتماعية، وسوء الاندماج، وقلة التكيف، وخاصة الجماعة القاطنة بالمساكن الهشة أو المناطق الفاقدة للتأهيل العمراني أو الأحياء هامشية التي يسكنها في غالب الأمر الفقراء والمعوزين، وبالتالي فإن كل السلوكيات غير السوية والمنحرفة ما توجد ولا تترعرع إلا في المناطق الفاقدة للتأهيل العمراني لأنها تعد أوكاراً لها، ومنها فقد جاءت هذه الدراسة التي تجمع بين تخصصين في علم الاجتماع هما سوسولوجية المدينة وسوسولوجية الانحراف والذين يقدمان من خلال معارفهم النظرية تصور دقيق وواضح لأجل الاجابة عن التساؤل الرئيسي للدراسة النظرية الموالية، ومفاده: هل هناك علاقة بين السلوك الإنحرافي والبيئة الحضرية غير ملائمة؟

الكلمات المفتاحية: الفضاء المدني، السلوك الإنحرافي، البيئة العمرانية، الأحياء، المسكن.

Abstract: The city is a complex combination of material, moral and human data in a limited geographical space, which makes it the space for the emergence of a huge network of social relationships linked to the nature of the urban environment and the social-cultural structure of the city. Accordingly, these relationships determine the identity of the city and its urban features in all its forms and elements, including its mentality. Individuals, their orientations, and their behaviours, which are normal, may also be deviant or criminal. Therefore, if the environment encourages individuals to deviate, and if the opposite is true, then the opposite is true. This means that the urban environment of the city, which is physically distorted with tin houses and fragile neighbourhoods, leads to the existence of a social life characterized by social chaos. Which, in turn, is characterized by a lack of harmony between individuals and social groups, poor integration, and lack of adaptation, especially the group living in fragile housing, areas lacking urban rehabilitation, or marginal neighbourhoods, and therefore all abnormal and deviant behaviour does not exist and does not flourish except in areas lacking urban rehabilitation because they are considered dens. For it, and from it came this study that combines two specializations in sociology, the sociology of the city and the sociology of deviance, which through their theoretical knowledge provide an accurate and clear vision in order to answer the main question of the subsequent theoretical study, which is: Is there a relationship between deviant behaviour and an inappropriate urban environment?

Keywords Urban space, deviant behavior, urban environment, neighborhoods, urban housing

مقدمة:

تمثل المدينة نموذجاً للحياة الاجتماعية والإنسانية المعاصرة، حيث ارتبط وجودها بوجود المجتمع الإنساني واختلف أنماطها باختلاف المراحل التاريخية التي قطعها الإنسانية في تكوين ظاهرة المدينة بملامحها الحضرية، وتم خلالها إرساء قواعد إيكولوجية تعكس العلاقة بين البيئة والعمران البشري أي بين المكان وسكانه، وقواعد تنظيمية تميز فيها النظم والأنساق المختلفة التي تشمل النظم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية مشكلة في مجملها فضاءات مدينية متميزة، ولا شك في أن هذه المنظومة المعقدة من النظم في ديناميكية مستمرة تمس المجتمع في بناءه ووظائفه ونظمه خلال فترات زمنية متوالية، حيث يقع هذا التغيير على التركيب السكاني للمجتمع، بما في ذلك بنائه الطبقي وأنظمتها الاجتماعية المتمثلة في أنماط العلاقات الاجتماعية ومجمل القيم والمعايير التي تؤثر على سلوك الفرد وتحدد مكانته ودوره داخل المجتمع، وكنتيجة لهذا التغيير يظهر السلوك الإنساني كمحصلة لتظافر العديد من العوامل المختلفة للمدينة (اقتصادية، سياسية، ثقافية، اجتماعية)، والتي يترتب عنها انقسام طبقي واضح يحاكيه انقسام المدينة إلى أحياء لائقة اجتماعياً وعمرانياً وأحياء غير لائقة اجتماعياً مما يؤدي إلى انتشار السلوكات غير الاجتماعية في غالب الأحيان. ويعتبر السلوك الإنحرافي السلوك المضاد للمجتمع وقيمه وثقافته والمنافي للنظم الاجتماعية وبناءها وهو وليد التغيرات العمرانية والبيئية للمجتمع، ولعل أخطر السلوك الانحراف كظاهرة طبيعية تصاحب المجتمع وتؤثر على تناسقه واستقراره، ولأن السلوك الإنحرافي سلوكاً منافياً للقواعد المجتمعية والمدينة داخل المجتمع، وعليه يسعى هذا المقال إلى الوقوف على علاقة سلوك الإنحرافي بالبيئة الحضرية العمرانية، ومن خلال طرح التساؤل الرئيس: هل هناك علاقة بين السلوك الإنحرافي والبيئة الحضرية غير ملائمة؟

1. تعريف البيئة الحضرية:

قبل التطرق لمفهوم البيئة الحضرية كمصطلح مركب، يستوجب التحليل السوسولوجي التدرج في الدلالات المفهومية لوضع تعريف اجرائي كافي ووافي يمكن من تحديد التصور العام للمعالجة المفهومية الإستيمية لظاهرة البيئة الحضرية كمفهوم أساسي في علم الاجتماع الحضري، وعليه فإن أول شطر في المصطلح هو البيئة، الذي يدل من الناحية اللغوية على الفعل (بواً) وفق ما تطرق اليه الباحث أحمد رشوان (رشوان أحمد، 2006، ص 27)، ومن ثم فإن البيئة هي الحالة أو الهيئة أو المنزل له موصفات معيشية معينة، الذي يمارس فيه حياته وتفاعلاته الاجتماعية، اما من الناحية الاصطلاحية فإن البيئة تعرف على أنها تلك العوامل الخارجية عن ذات البشرية التي يستجيب لها الفرد أو الجماعة

استجابة عقلية واجتماعية كالعوامل الجغرافية من سطح والنبات والحرارة وعوامل ثقافية التي تسود المجتمع وتؤثر في حياة أفرادها وتشكلها وتطبعها بطابع معين.

أما بالنسبة لمصطلح الحضري، فإنه يشير وفق جمهور علماء سوسولوجية الحضري بأنها " الطابع المميز للمجتمع المحلي والأسلوب الخاص الذي تتسم به طريقة الحياة في المجتمع الحضري والذي يعد من أساسيات الخصائص المميزة للمدينة(سعيد ناصف، 2006)، أو الحضرة وفق تصور ابن خلدون، حيث يترتب عن تلك الخصائص الحضرية نمط معيشي أي ثقافة ونمط حياة اجتماعية بتفاعلات وعلاقات مغيرة عن نماذج سكنية أو بيئية مغايرة، كذلك يعرفه لويس ويرث أحد أهم منظري سوسولوجية الحضري على أنها " طريقة الحياة في المجتمع الحضري، فتصبح الحضرية طريقة عيش سكان المدينة، كما تعتبر نمط وطريقة العيش وأسلوب الحياة المميزة للمجتمع الحضري" (السيد الحسيني، 1981)بمعنى أن المجتمع الحضري له خصائص مجتمعية معينة تضي على التجمع البشري خصائص معينة أهمها أنه يضم تجمع بشري كبر الحجم، كثيف وغير متجانس، وبذلك فإن نمط حياة اجتماعية وثقافية حضرية، كما يعرف ذات العالم في موقف معرفي آخر بأنها بقوله هي استيطان جمهور من الناس ذا حجم كثيف ودائم، يتميز باللاتجانس اجتماعي وثقافي (عبد الرحمان المالكي 2016 ، ص 155) مما يفرز التضامن يغلب عليه الايقاع التفاعلي المادي أو النفعي، الذي أخذ شكل توفير المساعدات والدعم المادية لبعضهم البعض.

تصل الدراسة الى التركيبة المفهومية وهو البيئة الحضرية والذي يقصد به وقع يجمع الانسان مع كثير من العناصر أو معطيات البيئية تمثل العمران المرتفع المنظم والطرق الكثيفة الواسعة وأنماط مغايرة من المواصلات كالسكك الحديدية والرقمية، إضافة إلى توفر المرافق الخدمانية المتنوعة والعديدة، وهي كلها نتاج تفاعل الانسان واستغلاله لموارد بيئته الطبيعية، أن البيئة الحضرية هي تفاعل بين ثلاث أنماط من المعطيات أولها العمران وطرق المواصلات، ومعطيات الأنشطة البشرية، الأنشطة المجتمعية والثقافية (رشوان أحمد، 2006، ص 27) حيث يفرز هذا التفاعل نظام معيشي يتميز بالسرعة في النشاط وكثرتة والعلاقات الثانوية ورسميتها، كما يعرف السوسولوجي المصري محمد عاطف غيث البيئة الحضرية بأنها " مكان جغرافي يتمركز فيه السكان يتميز بالكثافة ويوجد في منطقته جغرافية نسبية ويتجه نشاط السكان إلى اعمال غير زراعية تتميز بالتخصص والارتباط الوظيفي وتتم داخل نمط سياسي معين" (غيث، 2006، ص 53) هذا يعني أن التمدن أو التحضر هو نمط سياسي في المقام الاول يفرض نشاط اجتماعي مهني، يتأرجح بين الصناعة والتجارة والعمل المكتبي أو الوظيفي، إضافة إلى الكثافة السكانية المرتفعة، ومن يعني أن البيئة الحضرية هي البيئة من صنع الانسان لأجل

تحقیق أهداف معینة، وهنا یتدخل العالم الأمريكي السوسیولوجی الحضری لویس بتصوراته معتبراً البیئة الحضریة بأنها أسلوب فی الحیاة یتمیز بسیادة العلاقات الثانیة والعلمانیة (موسی نوحیس، 2019، ص62) التي تفصل الوجدانیات عن الممارسات فی الحیاة.

2. خصائص البیئة العمرانیة:

تتمیز البیئة العمرانیة بعدة خصائص تؤثر علی كل حیاة الافراد والجماعات و تصرفاتهم وسلوكاتهم بالحیاة المدیة، مما یجعل هذه الاخیره تحت ضغط كبیر، وارهاق وتعب علی مدار الیوم، وبالتالي قد لا یتمكن الفرد أو الجماعات الضعیفة من المقاومة ومن ثم الانحراف عن المسار السلوكی السوی، ومن تلك الخصائص الآتی (السید الحسینی، 1981):

1.2. شدة العمرانیة: یقصد بالكثافة السکانیة أو ما یعرف بین جمهور الیمغرافیین بالكثافة السکانیة، وهي تركیز عدد الافراد داخل حدود منطقة جغرافیة معینة، خاصة وأن السکنات لا تسیر أفقیاً أنما عمودیاً نتیجة العمرات الشاهقة أو المتوسطة، ویكون هذا التركيز غیر متجانس بین المناطق الجغرافیة المختلفة للمدیة، وغالباً ما تكون علاقات سکان المدیة سطحیة هامشیة (علی محمد جعفر، 1990)، إن هذه السمة تفرز من الناحیة الاجتماعیة كم هائل من العلاقات الاجتماعیة الناتجة عن تفاعل الفرد مع عدد كبیر من الافراد الذین ینتمون الی جماعات عدیة ومختلفة النشاط الاجتماعی فی المدیة أو الحضری، قد تكون جماعات رسمیة كمؤسسات العمل، النوادی الریاضیة، النقابات العمالیة، المستشفیات، العیادات الطبیة، كذلك الجماعات غیر الرسمىة كالمقاهی، قاعات الحفلات، الحدائق والاماكن العمومیة، (السید الحسینی، 1981، ص77)، وكلها علاقات او روابط غیر مباشرة تحكمها قواعد ومبادئ موضوعة لا عاطفیة ونظم ذات طبیعة غائیة تابعة لتلك الجماعات، وعلیه فإنها تتصف فی غالب الاحیان بالسطحیة والعمومیة، بالنفعیة والجزئیة، مما یجعلها علاقات مؤقتة و غیر دائمة، لكن كثیفة، كونها ترتکز علی مبدأ المصلحة والمنفعة، لیس بالضرورة المنفعة المادیة لأجل البیئة الحضریة المعاصرة، قد تكون المنفعة وجدانیة انسانیة كالاستئناس مثلاً لأن سکان الحضری فی غالبیة الساحقة لا تربطهم القرابة الدمویة.

2.2. الفضاءات الاجتماعیة: قد عرفها علم سوسیولوجیة المدیة أو الحضریة بأنها مجموعة من المناخات التي تمكن الفرد لأن یبرز فیها ذاته، وتتلور شخصیته، ویكون فیها مؤثراً انعكاساً لشخصیته، ومواهبه، وما یتمیز به من قدرات یتمیزه أكثر عن غیره (Williams Raymand, 1996, p 90-106)، ومن ثم یتحوز الفرد علی قیادة الجماعة أو المكان، كذلك یعرف بأنه الحیز المعنوی الذی یتناقش فیهِ أفراد المجتمع أو الجماعة القضایا المشتركة للحیة المدیة أو الحضریة، وبالتالي یسمح لأفراد المجتمع أو

الجماعات الاجتماعية بالتموقع والتموضع داخل المجتمع لأجل التعبير عن انشغالات مشتركة بينهم (Louis Quéré, 1990, p101). ومن هنا يشكل الفرد شبكة علاقات الاجتماعية غزيرة التأثير وفي فاعلي الفضاء الاجتماعي، هذا يعني أن الفضاء الاجتماعي مستويين فضاء اجتماعي موجودة بحكم متطلبات الواقع مثل مؤسسات العمل، المؤسسات الخدمات المدنية، دور السنمة، الأسواق الجوارية... وأخرى يستحدثها الإنسان لاحتياجاته المستجدة على واقع حياته اليومية مثل أسواق الحي، المقاهي، الحدائق، وعليه تصبح البيئة الاجتماعية من خلال فضاءاتها الاجتماعية واقعاً لأنشاء القيم والسلوكات السوية منها وغير السوية.

3.2. اللاتجانس العمراني: تضم المدينة أفراداً وجماعات مختلفي الاصول الاجتماعية تجمعوا في المدينة نتيجة إما لظروف العمل أو لأسباب التعليمية أو الحصول على الخدمات الصحية، لأجل الحصول على حياة اجتماعية راقية تتميز بالأمان والاستقرار (Joseph L, 1979, p36)، ومن هنا يتشكل مجتمع المدينة بقيم متنوعة وثقافة مختلفة؛ هذا من ناحية ومن ناحية ثانية؛ فإن أولئك المنتقلين إلى المدينة بعضهم أغنياء والبعض الآخر فقراء، بعضهم متعلمين والبعض الآخر أميين، ومن هنا تتشكل في المدينة أحياء لعمارة الحديثة إلى جوار المبنى القديم أو أحياء هامشية، كما يتجاوز حياء لأغنياء وحياء للفقراء (أحمد كمال، 1985، ص 83)، هذا يعني أن المدينة بودقة صهرت فيها جميع الأضداد مجتمعية العديدة قيمة، دينية، فكرية، وبشرية، وهي بوتقة تختلط فيها الأجناس والثقافات، ومن هنا فإن طبيعة الحياة في البيئة الحضرية تسمح وتشجع، وتؤكد على الفروقات الفردية الاجتماعية باستمرار، مما يُفرز طابع معيشي متباين وغير متجانسة كون بعض أفراد المدينة ريفي والبعض الآخر قروي والبعض الثالث من خارج البلاد (أحمد كمال وكرم حبيب، 1985، ص 72) والمهم في هذا النسيج أنه يحمل في ثناياه شبكة علائقية تفاعلية معقدة تتميز العقلانية والرشد أكثر من العاطفية وجماعات اجتماعية متلاحمة تلاحم براغماتي ميكيافي، وهنا يفرز التنوع الثقافي للبيئة الحضرية بدوره تشكل التفاوتات الطباقية في الحياة الاجتماعية وعمرانية، وتصبح واضحة جلية من خلا ملامح مادية ومجتمعية.

4.2. التفاوت العمراني: تتميز البيئة الحضرية في غالب الاحيان، بأربع مستويات معيشية لفئات اجتماعية مختلفة، الأولى الطبقات الاجتماعية الراقية والتي تقطنها البيئة العمرانية والبيئية للمحيط، توفر التجهيزات السكنية الحضرية، وتعد الأحياء الراقية مركزا لطبقة سكانية تناسمها، وهي أحياء متواجدة في المناطق المفضلة والهادئة. تتميز ببعدها عن المراكز الصناعية التجارية، وتتمتع بحياة الترف، ومظاهر التحضر المختلفة (عبد المنعم شوقي، 1981، ص 120) وأهمها الهدوء والنظافة، في حين المستوى الثاني أي الأحياء المتوسطة هي أحياء لا فارهة وغالية، أغلب سكانها من الطبقة المتوسطة

الدخل، لا تمتلك التجهيزات الحضرية أما المستوى الثالث هي الأحياء الشعبية هي منطقةً عمرانيةً سكنيةً عتيقة تتصل بالموروث الشعبي، وتتميز الأحياء الشعبية بأنها وحدة عمرانية تسكنه فئات ذات الدخل الضعيف أو المتوسط، والقديمة، الأزقة الضيقة، تداخل المنزل، وقلة المرافق الضرورية (حسين عبد الحميد رشوان 1999، ص 125)، أما المستوى الرابع وهيا الأحياء الهامشية تتميز بسوء الأحوال السكنية، وقدم وهشاشة المباني، وتفتقر إلى الصرف الصحي، وتتسم بالازدحام والتخلف والظروف غير الصحية (Joseph .L , 1990)، ومن هنا فإن هذا التفاوت العمراني الذي يترتب عنه تفاوت اجتماعي يقود إلى انتشار اللادالة، والانحرافات السلوكية.

3. السلوك الإنحرافي:

أكدت الدراسات والبحوث التي أجريت في سوسيولوجية الجريمة أن السلوكيات الإنحرافية تنمو وتترعرع في بيئة اجتماعية مناسبة، وأكثر ملائمة البيئة الحضرية الفاقدة لمعالم الحضرية المناسبة للعيش اللائق، وهي متواجدة في الجزء المكون من المستوى الثالث والرابع من البيئة الحضرية، وتضم الأحياء الشعبية والهامشية، التي تتميز في غالب الأحيان بكونها لا تخضع للمعايير العمرانية الحديثة، لا تستطيع التفاعل مع متطلبات الحياة العصرية، تعجز عن تقديم الخدمات الأساسية، لا تواكب الأزداد في الطلب (كمّاً ونوعاً)، وأخيراً وليس آخراً تولد مشاكل اجتماعية مزمنة متعلقة بالمواصلات، الصحة العامة، البيئة، الأمن المحفزة على التفاعل الإيجابي للفرد والجماعة.

1.3. تعريف السلوك الإنحرافي: يدل مفهوم سلوك الانحراف لغوياً على الميل على الاعتدال، أما من الناحية الاصطلاحية تباينت التعاريف حسب المنظورات المعرفية، فمن المنظور النفسي، كما يرى سيجموند فرويد هو اضطراب نفسي شديد تظهر آثاره في السلوك ووظيفته، أما توماس هوبز أن السلوك الإنحرافي يتمثل في الصراع الموجود بين الرغبات الكامنة للفرد وهي مختلف من فرد لأخر والغرائز الفردية الموجودة عند كل من جهة والضغط الاجتماعي والثقافية التي يفرضها المجتمع بكل مؤسساته الاجتماعي الرسمية وفير الرسمية من جهة ثالثة (جعفر، 1990، ص 35)، وبالتالي فالسلوك المنحرف في المنظور النفسي هو سلوك شاذ مرضي ناتج عن اضطرابات نفسية وخلل في بناء الأنا منذ سنوات نمو سابقة للفعل ذاته أي فقد القدرة على ترويض الغرائز الفطرية وتطويعها للقواعد العامة للمجتمع، في حين من الناحية القانوني يعرف الانحراف بأنه مجموع المخالفات التي يقرها القانون والمشرع بها والمعاقب عليها، لا يعتبر جانحاً أو مجرماً إلا من اعترفت له المحكمة بذلك (بلملود، 2004، ص 35)، أي أن الفرد لا يوصم بهذه الصفة إلى من خلال إقرار المحكمة وثبت ادانته وفق ثوابت تم

الحصول عليها بعد التحقيق، من يعرف سلوك الانحراف ومنهم من يعرفهم من منظور اجتماعي، فيعرف بأنه وصف للأفعال أو السلوكيات التي تخرق أو تنتهك المعايير الاجتماعية التي نشأ عليها الفرد أو تسعى الأسرة إلى تكريسها في واقعها الحيثي التفاعلي (صلاح أحمد العزي، 2011، ص83) التي بها تنظم الحياة الاجتماعية وما فيها من أفعال ونشاطات، وبالتالي فإن السلوك المنحرف هو خروج الفرد بممارساته عن ذلك التنظيم، كما يعرف كذلك بأن السلوك الإنحرافي هو مجموع السلوكيات الفردية والاجتماعية لكونها لا تتوافق مع المعايير والقيم التي بناها المجتمع وتبنتها الجماعة وغرستها في أفرادها وأصبحت القاسم المشترك بينهما (مارشال، 2000، ص 238) ويضمن لهم الانتماء لها، وعليه فالسلوك المنحرف هو الميل عن تلك الممارسات التي تضع في قوالب مقبولة تتماشى وتلك البنى القيمية والمعيارية، وبالتالي فالمنحرف هو فرد منتهك لمعايير المجتمع.

وعليه يمكن القول أن السلوك الإنحرافي هو ممارسات سلوكية يقوم بها الفرد قولاً وفعلاً خارج عن القوالب السلوكية التي حددتها القواعد والمعايير الاجتماعية والتي تؤذي الغير أذى بدني أو معنوي، نتج من توفر بيئة اجتماعية ذات ظروف معيشية وعمراني مواتية وملائمة للمنحرف.

2.3. أسباب السلوك الإنحرافي: بيئة اجتماعية ذات ظروف معيشية وعمراني مواتية لتواجد ونمو بذرة السلوك الإنحرافي وخاصة المساكن الفاقدة للأبسط شروط التفاعل الايجابية بين أفراد الأسرة وتوفر مساحة تفاعلية من الخصوصية خاصة للشباب فيضطر إلى انشاء تلك المساحة في الشارع أو الحي الذي يقطنه، هذا الأخير الذي يفتقد بدوره إلى الكثير من المتطلبات الحياتية الحضرية، التي بها يمكنه تفريغ الطاقات السلبية والتفاعل مع وسطه أو بيئته الحضرية بإيجابية، غير أن فقدان تلك المتطلبات يزيد من تضيق الخناق عليه ويميل إلى الطريق الحضري السوي وبالتالي يخرج عن القوالب السلوكية المطلوبة، ومن هنا فإن البيئة الحضرية أو العمرانية في تنامي السلوك الإنحرافي، وعليه يمكن حصر أهم الأسباب ذات العلاقة بالبيئة الحضرية في الآتي (محمد الجوهري، 1992):

✓ إن اتساع المدينة وازدياد كثافتها السكانية يفقد الدولة مهما كانت متطور على السيطرة على جميع مناطق الظل في المدينة لأن تلك المناطق في غالبية الأمر هي أوكار للسلوكات غير الحضرية والتي تتطور مع مرور الوقت الى أنتصبح سلوك منحرف أو اجرامي، يتغذى على السلبيات التي تحتويها المدينة.

✓ إن هيمنة الأسلوب الحياتي التقني أو المادي؛ الذي طبع الحياة الحضرية؛ ذا الطابع الجاف على تفكير الفرد المعاصر وحياة الاجتماعية الحضرية وشبكة علاقاته ذات الريتم المتسارع، والذي أفرز تصدعات كبيرة في العلاقات الاجتماعية (Joseph.L, 1990)، كما ترتب عنه فوارق الاجتماعية كبيرة،

نتيجة الوجود الرفاه والثراء الفاحش وفي المقابل البؤس والفقر المدقع، وهنا فقدت الحياة الاجتماعية انسانيته المتوازنة والتي تؤدي في بعض الاحيان إلى الحقد الطبقي، الذي يدفع إلى السلوكيات الإنحرافية

✓ طبيعة العمارة الحضرية المتأرجحة بين أحياء العمارات أو الأحياء الهامشية والهشة التي يغيب فيها ملمح التوازن والانسجام، والتي تكسب دوراً هاماً في تحديد مستوى السلوك الإنحرافي وأعمال العنف، والمهم في الوضع الاجتماعي أن هذه الأحياء تتميز بالاحتفاظ العمراني نتيجة الكثافة السكنية المرتفعة، إضافة إلى قلة المرافق ذات الخدمات العمومية وخاصة الأمن الإنسانية والاجتماعي (عبدالرؤوفالصبيغ، 2003، ص 37) هذه الأخيرة التي تراقب وتضبط الحركية التفاعلية الاجتماعية عموماً وغير الاجتماعية التي تهدد الحياة الجماعية والفردية على وجه الخصوص وتميز بين ما هو آمن من السلوك وما هو خطر على الفرد وعلى الجماعة، وتسعى لتقويضه بكل السبل المتاحة لها.

4. ملامح المدنية المحرّضة على السلوك الإنحرافي

إن الحياة المدنية أو الحضرية معقدة تحتوي على الكثير من المظاهر العمرانية التي تهيأ الفرد فيها إلى ممارسة السلوك الإنحرافي وربما حتى الاجرامي، بمعنى أن انعدام البنية التحتية الاجتماعية المناسبة لتفاعلي الحضري اللائق، حيث أنها تلعب دوراً هاماً في توجيه السلوك الاجتماعي، ذلك أن افتقار البيئة الحضرية العمرانية إلى الكثير من الخدمات الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية والترفيه، التي تتطلب كثير من معطيات البنية التحتية الضرورية مما يمكن أن يؤدي إلى زيادة الانحراف الاجتماعي بين الشباب والبالغين على حد سواء، ويمكن حصر تلك المعطيات في الآتي (Williams, 1996):

1.4. الفضاءات الحضرية الضيقة: تشير إلى العديد من المناطق حضرية وما يرتبط بها من خدمات متعددة المراكز، والتي تتشكل فيها العلاقات الاجتماعية بعد الأسرة، وتبادل الثقافات (السيد الحسيني، 1981)، غير افتقار المدينة للعدد الكافي من الفضاءات الحضرية الملائم للعدد السكاني المناسب، والجزء المتوقف يفتقر إلى الشروط الصحية للمكان أو الفضاء من نظافة وسعة، التهوية والمصارف الصحية، الازدحام والاختلاط (Joseph.L, 1990)، يؤدي الوضع التفاعلي إلى التوتر والتحرش، السطو، وهنا يصبح الفضاء موقع لنمو السلوك العدواني والإنحرافي.

2.4. التحضر المستورد: يشير مدلول التحضر إلى تحول سكاني من المناطق الريفية إلى الحضرية والزيادة التدريجية في هنا يعد نقلاً مكاني يتبعه نقلاً ثقافي، الذي يترتب عنه سوء التكيف أو عدمه مع

طبیعة التنظیم السریع للحیة الاجتماعیة الثقافیة للحضر أو المدینة (أحمد كمال، 1985، ص 59-61)، وبالتالي التحضر المستورد هو نقل فئة اجتماعیة من حدود جغرافیة معینة ذات قیمة ثقافیة إلى مكان آخر یتطلب قیمة وثقافة مغایرة فیحین تلك الفئة تحافظ على ثقافتها، وهنا یتدخل مارشال كلینارد بدراته التي ربط فیها بین فكري التحضر والسلوك الإنحرافي (عایدعواد الوریكات، 2008)، حیث أقرب أن عذم الاندماج فی المجتمع الحضری یخلق فجوة بین المكان والمشاعر المعززة بالقیمة، مما یشرع الفرد بالاعتراب الذی یقابله سلوكیاً بالعنف نتیجة رفض المجتمع الحضری سلوكات المنقول الیه وهی سلوكات غیر حضری أو حیاة اجتماعیة غیر حضریة، مما یدفعه إلى ممارسة العنف أو الاجرام كوسیلة دفاعیة أو كرد فعل للرفض

3.4. اللاتجانس البیئی: یعد اللاتجانس هو نتیجة حتمیة لكبر الحجم والكثافة العالیة من جهة والاستجابة المباشرة لظروف اقتصادیة كتقسیم العمل، كثرة المؤسسات الانتاجیة والخدماتیة، وأخرى اجتماعیة تحول الاسر الممتدة إلى أسر نوویة مستقلة بحیاتها، خروج المرأة للعمل (غیث محمد عاطف، 2006، ص 91)، ومن جهة ثانیة فإن اللاتجانس یؤدي إلى العدیة من الافرازات الاجتماعیة أهمها ظهور تدرج الطبقي واضح وممیز الملامح، زیادة معدلات الحراك بأشكاله الفیزیقیة والاجتماعیة سواء صعوداً او نزولاً سواء لفرص العمل المتاحة أو للأزمات اقتصادیة، هذه التركيبة التفاعلیة غیر المتجانسة فی الحیاة الاجتماعیة الحضریة تتميز بعلاقات اللاشخصیة، ونشاطات ثقافیة متنوعة وواسعة قد تتماشى مع بنية قیمیة ولا تتماشى مع آخر، وهنا تولدت الكثير من المظاهر الدالة على التفكك الاجتماعی سواء مظهراً خارجياً للأفراد كاللباس الممزق، طریقة المشی والكلام أو الجماعات كجماعات المثلیین، جماعات عبدة الشیطان، عصابات الشوارع أو الاحیاء.

5. الآثار المترتبة عن الجريمة الحضریة:

إن انتشار السلوكات الإنحرافي فی بیئة الحضریة له العدیة من الآثار السلیبیة على الأفراد، الجماعات، المؤسسات والمجتمع الحضری منها (العزی، 2011، ص 193-194):

✓ تنامي شعور كافة أفراد المجتمع الحضری بضعف الأمن والاستقرار، مما یجعلهم یعیث فی حالة من خوف والرعب على نفسه، بیته، أمواله وأبنائه، وبالتالي یقل تفاعل الاجتماعی وتقلص شبكة العلاقات الاجتماعیة، لأنهم یعتقدون أن هذا جزء من الحذر.

✓ انتشار الانحراف فی الوسط الحضری یضعف الثقة المواطن فی واقعه ومحیطه المديني وما فیة من أجهزة الأمنیة مختصة بمكافحة الانحراف والجريمة أو توعية المواطنين، وهذا ما یزید من توتر

العلاقة مختلف أفراد المجتمع، بحيث يصبح المواطن يبحث عن أساليب أخرى لحماية نفسه وممتلكاته من الانحراف.

✓ زيادة التكاليف الدولة والمجتمع المادية المترتبة عن محاربة الانحراف والجريمة التي تصب في الكثير من مجالات الحياة الاجتماعية المدنية كتكاليف القضاء الذي تتحمله الدولة، إضافة إلى تكاليف انشاء المؤسسات العقابية والقيام بإجراءات حماية الممتلكات كالكاميرات المراقبة، جنود الحراسة.

6. أساليب عملية مواجهة السلوك الإنحرافي بالبيئة الحضرية العمرانية:

إنظاهرة الانحراف أو السلوك الإنحرافي ظاهرة لا تساعد المجتمع الانساني على النمو والازدهار كذلك المجتمع العربي الذي تتنافى مع بنيته الثقافية والقيمية مواجهة الجريمة الحضرية تتطلب مجموعة من طرق والأساليب المختلفة تختلف باختلاف طبيعة الجريمة من جهة وخاصة المجتمع الحضري وثقافته من جهة ثانية، ولهذا من البديهي أن أساليب محاربة الانحراف أو السلوك الإنحرافي المعتمد تختلف حسب المراحل والأشخاص المنحرفين ودرجة الانحراف ذاته، كما تختلف حسب القائم بها إما مستشار في الامن أو الانحراف أو رجل أمن، ومن هذا المنطلق فإن الاساليب مكافحة السلوك الإنحرافي تتمثل في الآتي (محمد الجوهري، 1992):

1.5. التوعية والتثقيف الاجتماعي: تعرف التوعية بأنها عملية تشير إلى اكتساب الفرد وعيا فهي تهدف في بؤرة اهتمامها إلى التوجيه والإرشاد للحد من انتشار الانحراف السلوكي بالبيئة العمرانية الحضرية (محمد ياسر، 2008، ص 279) وبالتالي فالرد الذي يخضع للتوعية، أما عن التثقيف فهو أيضا ضروري بما يختص الانحراف وهو عملية مستمرة، تتم بوعي الأفراد فتجدهم يكتسبون أنماطا سلوكية مغايرة للأنماط السلوكية الخاصة بجماعتهم (علي محمد جعفر، 1990)، بحيث يكون التوعية والتثقيف على مستويين الأول للأفراد المجتمع أو المناطق المنتشر فيها السلوك الإنحرافي أو الجريمة بالتبليغ وعدم الخوف نتيجة قوة الدولة ووطأتها القانونية ومن الجهة الأخرى توعية المنحرفين بمخاطر الطريق المسلك ونهاياته الوخيمة ومن هنا يكون التثقيف والتوعية يتأرجح بين الترغيب والترهيب، ومن ثم لا يكون التغير شكلي فقط في عدم مرافقة أصحاب السوء بل القيام بذلك عن وعي وقناعة بما يجب القيام به، ومن بين العناصر التي يتطرق لها هذا العنصر للحد من انتشار الانحراف السلوكي إطلاق حملات توعية وورش عمل ونشر محتوى تثقيفي يجب أن يكون المحتوى واضحا وسهلا للفهم، توضيح أثار الانحراف على الفرد والغير، كما يعتمد على وسائل متنوعة لضمان وصوله لشرائح واسعة من المجتمع

2.5. تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية: إن أهم معطى حول الحياة الاجتماعية إلى حالة من الفوضى تتخللها المواقف الاجرامية والسلوك الإنحرافي هو العوز والحرمان الناتج عن البيئة الحضرية، وعليه فإن تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للفئات الهشة والمعوزة يعد طريقة لتغيير المستوى المعيشي وسيلة من أهم الطرائق لقلب دابر السلوك الإنحرافي من جذوره (محمد ياسر، 2008، ص 279)، يتم التخلص من مناطق الظل التي تحتوي على العشوائيات، وإعادة النظر إحياءها بإعادة إعمارها من جديد وتزويدها بالمرافق الخدماتية أما الظروف الاجتماعية فتتعلق بعوامل مثل التركيب الاجتماعي وتوفير التعليم والصحة ونشر الثقافة مع توفير خدمات اجتماعية، والمؤسسات الأمنية (السيد عبد العاطي السيد، 1984، ص 127)، وخلق حركية نظامية بها يستشعر المواطن بالأمن والامان وفي المقابل يستشعر في المنحرف بالمراقبة والرهبنة القانونية، إضافة إلى تقديم مساعدات وإعانات مادية للمعوزين غير قادرين على العمل وتمهين المقتردين بدنياً وعقلياً بالدعم لخلق فرص العمل وتقيوض دائرة البطالة في تلك الاحياء لكافة الفئات المجتمعية، ومن ثم خلق تفاعلية مجتمعية جديدة وتنظيم مجتمعي حضري بظروف جديدة تؤثر على حياة الأفراد فيها وتشكل البيئة حضرية جديدة للعيش.

3.5. الرعاية النفسية: إن التشوه النفسي الذي حدث للمنحرف كسر جميع مؤشرات الثقة في المجتمع أفراداً وجماعات، وعليه فإن إعادة بناء تلك الثقة وإعادة ترتيب تلك الفوضى النفسية يتطلب التركيز على بنيته الداخلية من خلال تفعل عمليات الرعاية النفسية، التي تعبر عن حالة أو خدمة تمكن وتهدف إلى تحسين الصحة العقلية والعاطفية للأفراد. تتضمن هذه الخدمات استشارات مع مختصين في الصحة النفسية، العلاج النفسي، والدعم الاجتماعي لتعزيز الرفاه الاجتماعي النفسي (محمد ياسر، 2008، ص 279)، حيث تشمل الرعاية النفسية كيفية التعامل مع مشكلات السلوك الإنحرافي وطبيعة الشخص المنحرف وعلاقته بالبيئة الحضرية العمرانية والصحة العقلية المحيطة به مثل الاكتئاب والقلق اللذان يؤثران على نفسية الفرد متوجهاً إلى بروز عدة ظواهر اجتماعية من بينها الانحراف السلوكي، أيضاً يجب تقديم استراتيجيات لتحسين التوازن العاطفي والتعامل مع التحديات الحياتية وما تتضمنه من ضغوطات ناتجة عن فقد القدرة على التوافق والتكيف مع الوسط الحضري ومتطلباته المتزايدة ومن ثم وضع استراتيجية تأقلمية مخططة ومواجهتها المسالك سلمية (محمد الجوهري، 1992، ص 66) التي يعيشها الفرد المنحرف من جميع النواحي والاكثر ايجابية دون اللجوء إلى أساليب سلبية مثل التهديد والوعيد والترهيب الذي يخلق الحواجز النفسية، وبالتالي تتيح الرعاية النفسية فتح قنوات تواصل ايجابية منها يمكن معرفة خبايا النفس والتي خلقت موانع التواصل بإيجابية مع البيئة الحضري.

4.5. الأسالیب الردعية الأمنية: من منطلق أن السلوك الإنحرافي هو سلوك تجاوز القوانين الضبطية والاصرار علیه يعد تحدي صارخ للقانون، وبالتالي فإن هذا الأخير؛ أي القانون أو التشريع الجزائي؛ يجرم ذاك السلوك، باعتباره الآلة الرادعة للتجاوزات والاعتداءات على أفراد المجتمع الحضري، الذي ينشر سلوكيات إنحرافية (إبراهيم توهامي، 2004، ص 279) تعكّر تطفو التفاعلات الحضرية المجتمعية، والتي تقودها إلى مؤثرات سلبية على الجماعات أي الأحياء واستقرارها مع بروز ضغوطات وظواهر مختلفة في ذلك المجتمع، لذلك يعد القانون الوسيلة الناجعة للضبط الاجتماعي الرسمي المتمثل في الردع والتوقيف والضبط كل الفاعلين المنحرفين، الذين معترف بين أفراد الأحياء بأنهم أفسدوا في البيئة الحضرية وحولوها إلى واقع غير آمن وغير مقبول ومرفوض شكلاً ومضموناً من طرف المجتمع الصغير والكبير (محمد سلامة محمد غباري، 2006، ص 167)، بتعنيفهم لكسر شوكة التحدي والعناد لأنه يعبر عن قوة الضبط السلوكي ونوع الممارسة من خلال بنوده المحكمة وتطبيقها الصارم من طرف الهيئات أو مؤسسات الضبط لأجل الرادع وفرض العقوبة على الخارجين عن حدود المجتمع، وفي الغالب تتمثل تلك المؤسسات الأمنية على اختلاف مهامها بين ضبطية وتحقيقية ورقابية ومؤسسات القضائية.

خاتمة

من خلال الطروحات التي قدمت في المتن والتي عملت على المعالجة المعرفية التصورية، التي تهدف إلى فهم ظاهرة السلوك الإنحرافي وارتباطاتها كنماذج بحثية بالبيئة الحضرية، وعلى اثر التحليل السوسيولوجي الذي تخلل البناء المعرفي التصوري للإشكال، وعليه فإن النتائج النظرية للبحوث التي ترتبط بابستمياة الانحراف والجريمة، وغيرها دلالة على أن الانحراف السلوكي في البيئة الحضرية، هو ظاهرة اجتماعية منتشرة لهاتأثيرات على المجتمع الحضري وعلى الفرد، وفي الأخير يظهر أن فهم علاقة السلوك الإنحرافي بالبيئة الحضرية يتطلب التفكير في مجموعة متنوعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث في هذا السياق مما يبرز أهمية التدابير الاجتماعية والاقتصادية كبراديعم اساسي لتحسين عودة الحياة في المدن والحد من حالات الانحراف والجريمة.

المراجع

- (1) أحمد كمال (1985)، علماء الاجتماع الحضري، دراسة بنائية وظيفية للمجتمع الحضري، دار الحيل، القاهرة
- (2) الجدلاي نادية عمر (1993)، علم الاجتماع الحضري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- (3) جوردون مارشال (2000)، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة أحمد السيد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر
- (4) رشوان أحمد عبد الحميد (1998) البيئة والمجتمع. دراسة في علم اجتماع البيئة. الإسكندرية. الكتاب الجامعي.
- (5) سعيد ناصف (2006)، علم الاجتماع الحضري- مفاهيم والقضايا والمشكلات، درا الكتب، القاهرة
- (6) السيد الحسيني (1981)، المدينة- دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعارف، القاهرة
- (7) السيد عبد العاطي السيد (1984)، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- (8) صلاح أحمد العزي (2011)، دور التنشئة الاجتماعية. عمان دار غيداء.
- (9) عايد عواد الوريكات (2008)، نظريات علم الجريمة، عمان، دار الشروق
- (10) عبد الرؤوف الصبغ (2003)، علم الاجتماع الحضري، قضايا واشكاليات، دار الوفاء لنديا
- (11) عبد المنعم شوقي (1981)، مجتمع المدينة – علم الاجتماع الحضري، دار النهضة العربية، بيروت.
- (12) إبراهيم توهامي وآخرون (2004)، التهميش والعنف الحضري، دار الهدى: باتنة
- (13) علي محمد جعفر (1990)، الاحداث المنحرفون، (المجلد 2) بيروت لبنان. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر اللبنانية.
- (14) غيث محمد عاطف (2006)، قاموس علم الاجتماع. مصر دار المعرفة الجامعية.
- (15) محمد الجوهري (1992)، السلوك الإنحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية
- (16) محمد سلامة محمد غباري. الدفاع الاجتماعي في مواجهة الجريمة، دار الوفاء: بيروت، 2006
- (17) محمد ياسر الأيوبي (2008)، النظرية العامة للأمن، طرابلس المؤسسة الحديثة للكتاب.
- 18) Joseph.L (1979), Ecole de chicago, naissance de l'écologie urbaine, 1ere édition. Champ urbain
- 19) Louis Quéré (1990), agir dans l'espace public : les formes de 4 action, Paris, édition de L'EHESS, 1990,
- 20) Maris Robert (2002), la société urbaine -phénomènes sociologique, paris.
- 21) Williams Raymand (1996), communications comme science de la culture in réseaux, (CENT) France, N 80, novembre-